مُقدِّمةُ أُرجُوزَة
تصنيفُ
الشيخ جعفر بن الفضل بن حسين بن مهدويه
(من أعلام القرنين السابع والثامن الهجريين)

تحقيق
عليّ الشجاعيّ الكلبايكانيّ
حوزة النجف الأشرف

الملخص

مُصنِّفُ هذه الرسالةِ هوَ الشيخُ جعفر بن الفضل بن حسين بن مهدويه (كان حيًّا في ق ٨هـ)، أَحَد تلامذة المحقّق الحلّي ﵀، التقَى بأُستاذِهِ في الحلّة سنة ٦٥١ هـ، ودرسَ عليهِ، وأفادَ منهُ كثيرًا.

وقد نظمَ ابنُ مهدويه أُرجوزةً قَرَأها على المحقِّق الحلّيِّ، لم تصل إلينا، وجعل هذه (الرسالة) مُقدِّمَةً تسبقها، حاولَ فيها أنْ يعرضَ لجوانب مهمَّةٍ من حياة أُستاذِه.

وقد ظفرنا بمخطوطة فريدةٍ لهذه الرسالة ضمن مجموع في مكتبة العتبة الرضوية، وقد قُمنا بتحقيقها، وبذلنا الجهد في ذلك.

الكلمات المفتاحية:
المحقق الحليّ، ابن مهدوية، أُرجوزة، التشريع.

An introduction Arjouza poem Authorship Sheikh Jaafar bin al-Fadl bin Hussein bin Mahdawiyah (From the flags of the seventh and eighth centuries Hijri)

Investigation
Ali Al-Shojai Al-Kalbikani
Hawza Al-Najaf Al-Alshraf

Abstract

The classifier of this message is Sheikh Ja`far bin Al-Fadl bin Husayn bin Mahdawiyah (he was alive in the 8th AH), one of the students of Al-Muhqqiq Al-Hilli, who met his teacher in Al-Hillah in 651 AH, and studied on him, and he benefited a lot from him.

Ibn Mahdawiyah organized a poem which he read it to the Al-Muhqqiq Al-Hilli, which did not reach us, and he made this (message) an introduction that precedes it, in which he tried to present important aspects of the life of his teacher.

We have won a unique manuscript for this message in a collection in the Ataba Razavi library, and we have investigated it and exerted effort in that.

Keywords:
Al muhaqqiq Al hilli, Ibn Mahdawiyah, Arjouza, The legistation.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على سيِّد المُرسلينَ رَسُولِهِ الأَمين، وعلى آله الطيّبين الطاهرين المعصومين، واللعنة الدائمة على أعدائِهِمْ أَجمَعِينَ.

أمّا بعد، فلا يخفَى على كُلِّ مَن لهُ حَظٌّ مِنَ التَّحقِيقِ والاطِّلاع على تاريخِ مَدارس الشيعةِ الدينيَّة أَنَّ لمدرسة الحلّة دورًا كبيرًا في تحقيق علوم أهل البيت عليهم السلام ونشرها عن طريقِ إِعدَادِ أَجيَالٍ مِنَ العُلمَاءِ الذين بنوا أَسَاسًا قَوِيمًا لدِرَاسَةِ العُلُومِ الإِسلاميَّةِ وَتطويرِ مَنهَجِها، وما زلنَا نُشَاهِدُ تأثيرَها حتَّى يومنا هذا في المدارس الفقهيّة وغيرها مِنَ العُلُومِ الإِسلاميَّةِ.

فإذا بحثنا في تاريخ العلوم الإسلاميَّةِ وَجَدنَا ثَورَةً علميَّة كانتْ تقودها مدرسة الحلّة التي كانت آمنة إلى حَدٍّ ما مِنَ النِّزاعاتِ المَريرَةِ التي شَهِدَتهَا الأُمَّة الإسلاميّة بشكل عامّ، والأوساط الشيعية بشكل خاصّ إثر الاحتلال المغوليّ والحروب المدمّرة، فصارت مدرسة الحلّة المحور الرئيس في الحقبة المُمتدَّة مِن القرن السادس حتّى القرن التاسع الهجري للنشاط العلمي والأدبي وفي مُختلف المجالات آنذاك.

إذ برزَ في بداية القرن السابع الهجري جيل من الفقهاء عرضوا نماذج راقية لطريقة البحث والتحقيق العلمي، وربّما من أهمّ مزايا هذه المدرسة فتح باب الاجتهاد لاستكشاف الأحكام في ثوب جديد، وتأليف الموسوعات الفقهيّة مع استحداث فروع جديدة، وتضارب الآراء بين الفقهاء، وظهور أُسلوب حديث في نقل الروايات وتصنيف الحديث.

وكان من روّاد ذلك العصر الشيخ المحقّق المدقّق رئيس العلماء في زمانه

المحقِّــق الحليّ ـ قدّس الله روحه ـ الــذي التفّ حوله كثير من العلماء الذين كانوا يغترفون من نمير علمه، واستفادوا منه وأفادوا واستضاؤوا وأضاؤوا.

نبذة عن حياة المحقّق الحلّي:

هو أبو القاسم جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد الحلّي، الملقّب بالمحقّق الأوّل والمحقّــق الحلّي، وينصرف لقب «المحقّــق» إليه إذا ذَكرهُ الفقهاء بدون قرينة.

وُلِدَ ﵀ سنة ٦٠٢ هــ في مدينة الحلّة ونشأ بها.

وكان لهــذه المدينــة الدورُ الرئيــسُ في تطوُّرِ الفقه الجعفــري، وتنظيمه بالشــكل الرائع الذي استمرَّ عليه فقهاءُ الشــيعة بعد ذلك حتَّى يومنا هذا، ففي هذه المدرسة نلتقي بكتاب (شرائع الإسلام)، الذي قَسَّمَه مؤلفه المُحقِّقُ الحلّيُّ علْى أقسام أربعة:

الأوّل: العبادات، والثاني: العقود، والثالث: الإيقاعات، والرابع: الأحكام.

وينطلق إلى هذا التقسيم الرباعي بالشكل التالي: الحكم الشرعي إمّا أن يتقوَّم بِقصد القربة أم لا، والأوّل العبادات. والثاني إمّا أن يحتاج إلى اللّفظ من الجانبَين الموجِب والقابــل أو من جانب واحد، أو لا يحتاج إلى اللّفظ، فالأوّل العقود، والثاني الإيقاعات، والثالث الأحكام، وبذلك تندرج أبواب الفقه في أقسام أربعة، كما تقدّم.

وهذا التقســيم الراقي يجمع مختلف أبواب الفقه، وهي من ثمار مدرســة الحلّــة الفيحاء، وتمّت على يد المحقّق الحلّي الذي هو من أبرز علماء الإماميّة في الحلّة في زمانه، في القرن السابع الهجري فقهًا وتدريسًا وزعامة.

توفّي في الحلّة في سنة ٦٧٦ هـ[١].

مؤلِّف الرسالة:

لم نعثر بعد التتُّبع الكثير على ترجمة أو إشارة إلى مُصنِّف هذه الرسالة في المصادر المتوافّرة لدينا، سوى ما جاء في بدايتها، إذْ تبدو فيها عدّة معلومات عن مصنِّفها، وهي:

١. إنَّ لجعفر بن الحسين بن مهدويه أُرجوزةً قَرَأها على المحقِّق الحلّيِّ، وجعل هذه الأسطر مُقدِّمَةً تسبقها.

٢. إنّه من تلامذة المحقّق الحلّي، والتقى بأُستاذِهِ في الحلّة سنة ٦٥١ هـ

٣. إنّ ابن مهدويه صاحَبَ المُحقِّق مدَّةً طويلة، وأَفادَ منهُ كثيرًا، وقد صرَّحَ بذلك بقوله: «... وبقيتُ مدَّة أُصاحبه فلم أجده يومًا هزَّهُ هوًى لِعقيدةٍ مألوفة...».

٤. يبدو أَنَّ ابن مهدويه كانت تربطه بأُستاذه علاقة كبيرة، وكان مُقَرَّبًا له، ويخاطبُهُ بـ «يا بنيّ».

وسبب ذلك أنَّ المحقِّقَ كان ذا أخلاق حَسنةٍ، يجذب كلَّ مَن يلتقي بِهِ، كما نجد هذا الأمر في مقدِّمَةِ الرِّسَالةِ هذهِ.

ونجد هذا المعنى في مقدّمة الفاضل الآبي على كتابه كشف الرموز: «فاتّفق ـ بالطالع المسعود والرأي المحمود ـ تَوَجُّهي إلى الحلَّةِ السَّيفيَّة ـ حماها اللّه من النوائب، وجنّبها من الشوائب ـ فقرأتُ عند الوصول ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾[٢]، فكم بها من أعيان العلماء بهم التقيت، والمعارف الفقهاء، بِأيِّهِم اقتديت اهتديت، وكان صدر جريدتها، وبيت قصيدتها ـ جمال كمالها

(١) لؤلؤة البحرين: ٢٢٧ ـ ٢٣١/ ٨٢.

(٢) سبأ (٣٣): ١٥.

وكمال جمالها ـ الشيخ الفاضل الكامل عين أعيان العلماء، ورأس رؤساء الفضلاء، نجم الدين حجّة الإسلام (والمسلمين) أبا القاسم جعفر بن الحسن ابن سعيد ـ عظم الله قدره وطوّل عمره. فاستسعدت بهاء طلعته، واستفدت من جنى ثمرته في كلّ فصل من كلّ فنّ، وصرفت أكثر همّي وسابق فهمي إلى العلوم الدينية الفقهية والكلامية؛ إذ لا تدرك إلّا بكمال العقل، وصفاء الذهن وعليها مدار الدين، وتحقيق اليقين»[1].

كما نجد ذلك في كلام ابن داود الحلّي: «هو جعفر بن الحسن بن يحيى ابن سعيد الحلّي، شيخنا نجم الدين أبو القاسم، المحقّق المدقّق الإمام العلّامة، واحد عصره، كان ألسن أهل زمانه وأقومهم بالحجّة، وأسرعهم استحضارًا، قرأت عليه، وربّاني صغيرًا، وكان له عليّ إحسان عظيم والتفات، وأجاز لي جميع ما صنّفه وقرأه ورواه، وكلّ ما تصحّ روايته عنه»[2].

عنوان الرسالة وحقيقتها:

لم نقفْ على اسم هذه الرسالة، ولم نعثر في ضمن مؤلّفات الأصحاب على عنوان يلائم هذه الرسالة، إلّا أنّنَا وجدنا على صدر الصفحة الأُولى منها في عبارة بخطٍّ متأخِّرٍ عن خَطِّ الناسخ هكذا: «مقدّمة أُرجوزة للشيخ جعفر ابن الحسين بن مهدويه، وكان من تلامذة المحقّق الحلّي، وقد أورد في هذه المُقدِّمَة أحوال أُستاذه المُحقِّق المذكور».

وأَمَّا الرسالة نفسها فقد جاء فيها ـ كما أشرنا إليه ـ أنّ للمؤلّف أُرجوزة قرأها على أُستَاذِهِ المُحقِّق، وخَصَّصَ هذه الأسطر لعرض شيء من حياة أُستاذه وبعض النوادر التي سمعها منه مقدِّمة للأُرجوزة.

(١) كشف الرموز ١/ ٣٨.

(٢) رجال ابن داود ٦٢، ٣٠٤.

وأمَّل أن يسطره في رسالة منفردة، قال: «وسمعت من نوادر بحوثه، ودقائقِ استخراجاته، وغرائب ما إن ساعدني الوقت وامتدّ الأجل أفردت لما أسمعه من ذلك ما أسطره في جزء منفرد إن شاء الله تعالى».

ولكن من المؤسف لم يصل إلينا شيء من تلك الأُرجوزة، ولم يشر المؤلّف في هذه المقدّمة إلى موضوعها، فالأُرجوزةُ مجهولة بالنسبة لنا بصورة كاملة.

وذكر ابن مهدويه ﵀ في هذهِ المُقدِّمَة تاريخ لقائه بأُستاذه المحقّق الحلّي ﵀، ومختصرًا من حياته وسيرته، وعَدَّ مشايخه بترتيب العلوم، وأشار إلى بعض نصائحه الأخلاقية، وبعض فوائد أُخرى، وهذه الرسالة ـ كما قلنا آنفًا ـ هي مُقَدِّمَة لِأُرجُوزة، وقال: إنَّهُ عَرَضَ الأُرجُوزة على أُستاذه فَأَصلحَها، وَأَعَانَهُ على تَرتِيبِهِ.

ومن خصائصِ هذهِ الرسالة ذِكْرُ تاريخ ولادة المحقّق الحلّي، فقد جاء فيها أنّ مولده في سنة ٦٠٢هـ، وهذا التاريخ يُوافقُ ما قاله الشيخُ يوسف البحرانيّ في إجازته الكبيرة نقلًا عن بعض المُتَأَخِّرين عَن خَطِّ بَعضِ الأَفَاضِلِ: «وكان أبوه الحسن من الفضلاء المَذكُورين، وجدّه يحيى من العلماء الأجلّاء المشهورين، وقال بعضُ الأَجلَّاءِ الأَعلام من المتأخّرين: رأيت بخطِّ بَعضِ الأفاضل ما صورة عبارته: في صبح يوم الخميس ثالث عشر ربيع الآخر سنة ستّ وسبعين وستّ مئة (٦٧٦) سقط الشيخ الفقيه المحقّق أبو القاسم جعفر ابن الحسن بن يحيى بن سعيد من أَعلى درجة في داره فخرّ ميّتًا لوقته من غير نطق ولا حركة، فتفجَّعَ النَّاسُ لوفاته، واجتمع لجنازته خلق كثير، وحمل إلى مشهد أمير المؤمنين ﵇.

أقــول: وعلى ما ذَكَرَهُ هــذا الفاضل يكونُ عمر المحقّــق المذكور أربعًا وسبعين سنة»[١].

ولكــن في روضات الجنّات: «وعن بعض تلامــذة صاحب البحار أَنَّهُ تُوُفِّيَ سنة ســتّ وعشرين وســبعمئة (٧٢٦) عن ثمان وثمانين سنة، وقيل: إنّ مولده سنة ستّ مئة وأربع وعشرين، وقيل: بل اثنتين وستّمئة».

وقــال بعده: «وكأنَّه الحقّ الأوفــق بالاعتبار؛ لملائمتــه التامّة أيضًا مع ما ذكره في تاريخ وفاتــه الأَوَّل، وعليه المُعَوَّل، وإذن فيحمل ما عداه على وقوع اشتباه فيه بالعلّامة أو بعض بني عمومتِهِ المعروفين، فتأمّل»[٢].

نقــول: وعلى الأخير يكون مولده ســنة ٦٣٨هـ لا ٦٠٢هـــ كما تقدّم، والأمر ســهل، والمشــهور المعروف الأوّل، فضلًا عن أَنَّ تلميذ المحقّق ابن داود الحلّي صرّح بِأَنَّ وَفَاتَهُ وَقَعَتْ في سنة ٦٧٦هـ[٣].

المخطوطة

حصلنا على مخطوطةٍ فريدةٍ لهذه الرســالة فــي مكتبة العتبة الرضوية ـ على ســاكنها آلاف التَّحيَّة والثَّنَاء ـ برقــم: ٧/١٥٥٠٨، ويرجع تاريخها إلى القرن الثامن الهجريّ.

وهــي نســخةٌ قَدِيمَةٌ تَضمُّ رَسَــائِل للمحقِّق الحلّي ﵀، وهــي: ١ـ جوابات المســائل العزّية. ٢ـ أجوبة المســائل الكماليَّة، ناقصة الآخر. ٣ـ رســالة في تياســر القبلة، ناقصة الأوّل. ٤ـ المســائل المصريات، ناقصة الآخر. ٥ـ خمس

(١) لؤلؤة البحرين: ٢٢٧ ـ ٢٢٩/ ٨٢.

(٢) روضات الجنّات ٢/ ١٩١.

(٣) رجال ابن داود: ٦٢، ٣٠٤.

عشرة مسـألة، ناقصة الأوّل. ٦ـ جوابات المسائل الطبرية. ٧ـ مقدّمة أُرجوزة. ٨ـ اختصار الجمل والعقود، ناقصة الآخر. ٩ـ رسـالة في جواب الاعتراضات علـى الإمامية، لعلّها للمحقّق الحلّـي. وفي نهايتها ٢٨ ورقة مختلفة قديمة من كتـاب تذكرة الفقهاء والمعتبر وإيضـاح الفوائد وقواعد الأحكام ومختلف الشيعة.

وهذِهِ الرِّسـالَةُ لم تُحقَّق من قبل، وقَد أَشَـارَ إِليهَا سـماحة الشـيخ رضا الأُسـتادي في مقدِّمَةِ كتاب (المسـلك في أُصول الدين والرسائل التسع) من دونِ الإشـارة إلى نسختها، فقمنا هنا ـ بعد التَّوَفُّرِ عليها ـ بِتَحقِيقِها أَوَّل مَرَّةٍ بِحَمدِ اللّهِ وتَوفِيقِهِ مِنْ نُسخَتِهَا الفَرِيدَةِ.

مَنهَجُ التَّحقِيقِ

حقَّقنا هذه الرسالة بعد التنضيد والمقابلة مع نسختها الفريدة، على وفق الخَطَوَاتِ الآتية:

١ـ عنوتُ الرسالةَ بِعَنَاوينَ تُنَاسبُهَا.

٢ـ استخرجنا تعاريف مختصرة لِلفِرَقِ الوَارِدَةِ في النَّصِّ.

٣ـ ضبطنا كلماتها بالشَّكل، والنُّسخةُ نفسُهَا مشكولة أيضًا.

٤ـ أوردنا الصفحتين الأُولَى والأخيرة من مُصوَّرةِ المخطوطة.

وفي الختام أَتقدَّمُ بالشكر الجزيل إلى العتبة الحسينية المقدّسة ومركز العلّامة الحلّي ﵀، ولسماحة السيِّد حسين الموسويّ البروجرديّ لإعطاء مخطوطة هذه الرسالة، وإبدائه ملاحظات قيِّمة، والأُستاذ سماحة الشيخ حيدر البيَّاتي لمراجعته العلمية واللغوية، وسماحة الأُستاذ الميرزا محمّد حسين الواعظ النجفيّ.

وأحمد اللّه على حسن التوفيق في إحياء هذا السفر الثمين، راجين من اللّه العلي القدير التوفيق والسداد والإخلاص في العمل.

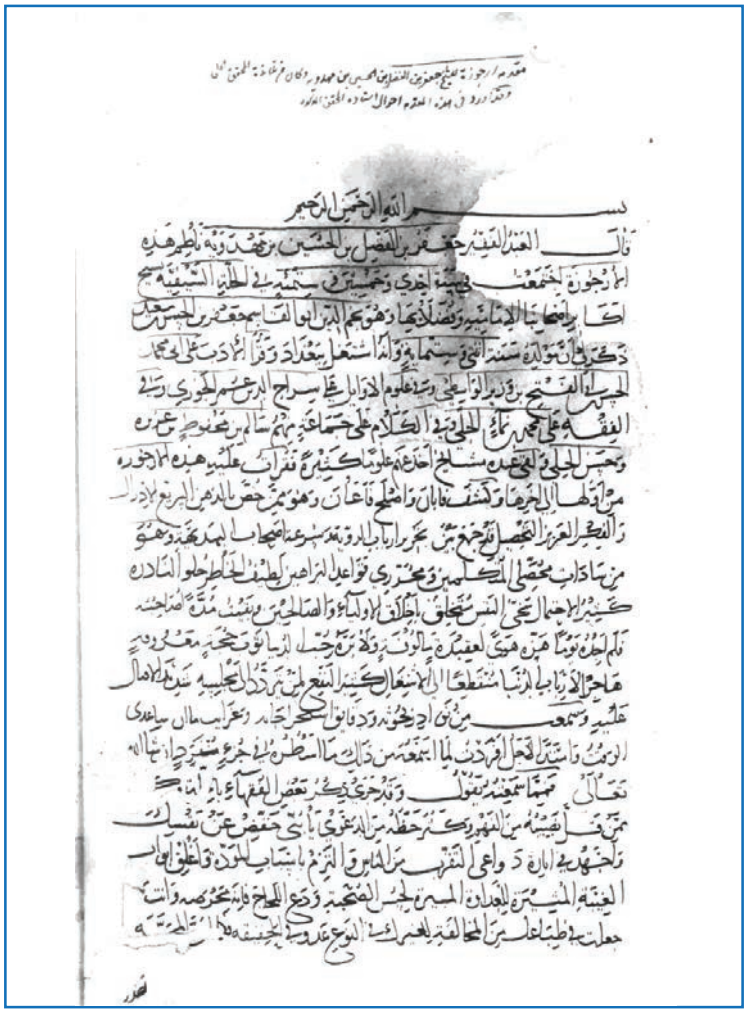

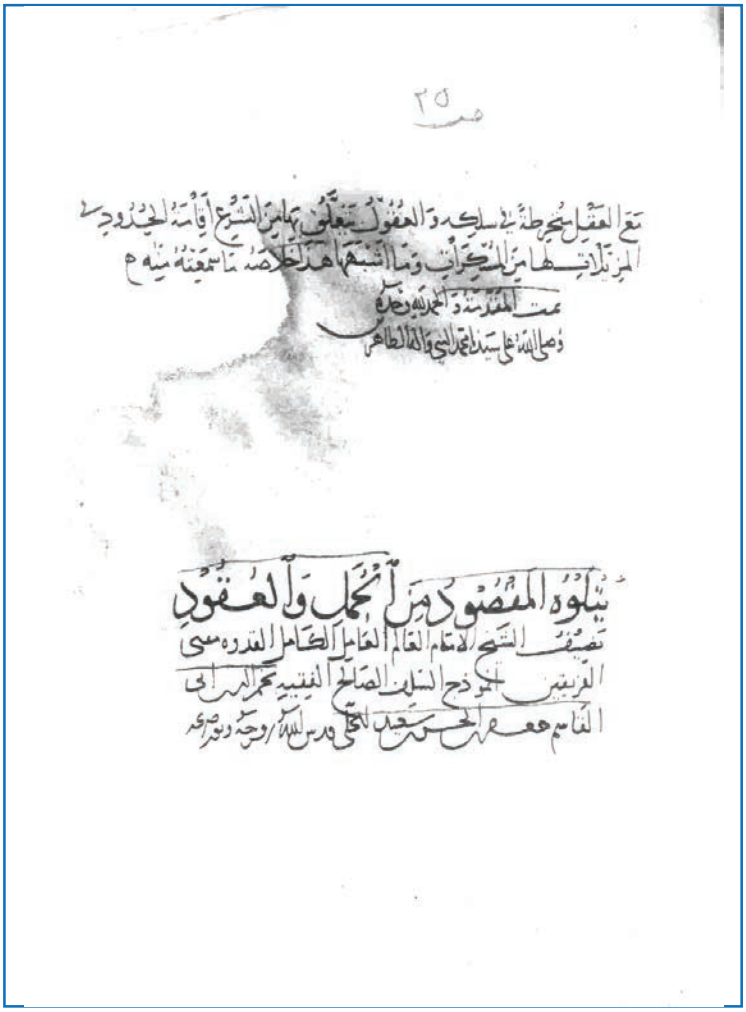
٢٥

مع العقل مخرطة السالك والعقول متعلق بها من الشرع إقامة الحدود
المرتلات ها من المركبات وما أشبهها هذا خلاصة ما سمعته منه م
تمت المقدمة والحمد لله وحده
وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين

تلوة المقصود من المجمل والعقود
تصنيف الشيخ الإمام العالم العامل الكامل القدوة سمي
الفريقين النموذج السلف الصالح الفقيه محمد الرضا
القاسم بن محمد الحسن بن سعيد الحلي قدس الله روحه ونور ضريحه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَالَ[1] العَبدُ الفَقِيرُ جَعفَرُ بنُ الفَضلِ بنِ الحُسينِ بنِ مَهْدَوَيْه ناظمُ هذه الأُرجُوزةِ:

اجتَمَعتُ في سَنةِ إحدى وخَمسينَ وستّمئةٍ في الحلّةِ السَّيفيّةِ بشيخٍ من أكابرِ أصحابِنا الإماميةِ وفُضلائِها، وهو نَجمُ الدِّينِ أبو القاسِم جَعفرُ بنُ الحَسنِ [بنِ يَحيى] بنِ سَعِيدٍ.

ذَكَرَ لي أنَّ مَولدَهُ سَنَةَ اثنتَي[2] وستّ مئةٍ، وأنَّهُ اشتَغَلَ ببَغدادَ، وقَرَأَ الأدَبَ عَلَى أبِي مُحَمَّدٍ الحَسَنِ بنِ أبي الفَتحِ بنِ وَزِيرٍ الواسِطِي.[3]

وفِي عُلُومِ الأوائِلِ عَلَى سِراجِ الدِّين عُمَرَ الجوزيِّ.

وفِي الفِقهِ عَلَى مُحمّدِ بن نماءٍ الحلّيِّ.

وفِي الكَلامِ عَلَى جَماعَةٍ، مِنهم: سالِمُ بنُ مَحفُوظِ بنِ عَزِيزَةَ[4]، وحَسَنٌ

(١) جاء في أعلا النسخة: «مقدّمة أُرجوزة للشيخ جعفر بن الفضل بن الحسين بن مهدويه.
وكان من تلامذة المحقّق الحلّي، وقد أورد في هذه المقدّمة أحوال أُستاذه المحقّق المذكور».

(٢) كذا، والصواب: «اثنتين».

(٣) أبو محمّد الأديب الواسطي: هو الحسن بن أبي الفتح بن أبي النجم بن وزير. قدم بغداد، وقرأ الأدب على أبي محمّد إسماعيل بن موهوب بن الجواليقي، وأبي الحسن عليّ بن عبد الرحيم العطّار. وكتب بخطّه كثيرًا من كتب الأدب لنفسه وللناس. وسمع من جماعة. وكان يكتب خطًّا حسنًا، وينقل نقلًا صحيحًا، ويضبط مليحًا. وكان فاضلًا عالمًا بالنحو واللّغة والأخبار، صدوقًا، حسن الطريقة. ولي مشيخة رباط نسيبه الشيخ صدقة، وتصدّر لإقراء الآداب إلى حين وفاته. توفّي سنة ٦٢٠هـ. الوافي بالوَفَيَات ١٢/ ١٢٦.

(٤) الشيخ سديد الدين سالم بن محفوظ بن عزيزة بن وشّاح السوراوي الحلّي، عالم فقيه متكلّم شاعر أديب جليل القدر عظيم الشأن، تخرَّجَ على يده أعاظم العلماء، وكان إمام الطائفة في وقته، والمرجع في علم الكلام والفلسفة وكلّ علوم الأوائل، وهو أُستاذ المحقّق صاحب الشرائع. وذكره العلّامة في إجازته الكبيرة لبني زهرة وأثنى عليه غاية الثناء. أعيان الشيعة ٧/ ١٨٠.

الحلّي[1]، ولَقِيَ عَنده مَشايخَ أَخَذَ عَنهم عُلُومًا كَثِيرةً.

فَقَرَأتُ عَلَيه هذه الأُرجُوزةَ مِن أوّلِها إلى آخرِها، وكَشَفَ[2] فَأَبانَ، وأَصلَحَ فأَعانَ، وهو مِمَّنْ خُصَّ بالذِّهنِ السَّريعِ الإدراكِ، والفِكرِ الغزيرِ التَّحصِيلِ، قَد جَمَعَ بَينَ تَحريرِ أَربَابِ الرَّوِيَّةِ وسُرعَةِ أصحابِ البَدِيهةِ، وهُو مِن ساداتِ مُحَصِّلي المُتَكَلّمِينَ ومُحَرِّرِي قَواعِدِ البَراهِين، لَطِيفُ الخاطِرِ، حُلوُ النادِرَةِ، كَثِيرُ الاحتِمالِ، سَخِيُّ النَّفسِ، مُتَخَلِّقٌ بأخلاقِ الأولياءِ والصالِحِينَ.

وبَقِيتُ مُدّةً أُصاحِبُه فلَم أَجِده يَومًا هَزَّهُ هَوًى لعَقِيدَةٍ مَألُوفَةٍ، ولا بَزَّهُ حُبُّ الدنيا ثَوبَ حُجّةٍ مَعرُوفةٍ، هاجِرًا لأربابِ الدنيا، مُنقَطِعًا إلى الاشتِغالِ، كَثِيرَ النَّفعِ لِمَن يَتَرَدَّدُ إلى مَجلِسِه، شَدِيدَ الإقبالِ عليهِ.

وسَمِعتُ مِن نَوادِرِ بُحُوثِه، ودَقائِقِ استِخراجَاتِهِ، وغَرائِبَ[3] ما إن ساعَدَنِي الوَقتُ وامتَدَّ الأَجَلُ أَفرَدتُ لِما أَسمَعُهُ مِن ذلك ما أَسطُرُهُ في جُزءٍ مُنفَرِدٍ إن شاءَ اللّٰه تعالى.

(١) لعلّه تاج الدين حسن بن عليّ بن دربي، قال عنه في أعيان الشيعة ٥/ ١٩٣: «عالم جليل القدر يروي عنه المحقّق اهـ. ولكن صاحب الرياض حكاه عن الأمل بعنوان الحسن بن عليّ الدربي وقال: من أجلّة العلماء وقدوة الفقهاء من مشايخ المحقّق والسيّد رضيّ الدين عليّ بن طاوس. وقال في موضع آخر: من أكابر الفقهاء والعلماء وقد كان من أجلّة مشايخ السيّد فخّار بن معدّ الموسوي، ووصفه الشهيد في أربعينه بالشيخ الإمام تاج الدين الحسن الدربي، ووصفه ابن داود في أوّل رجاله بالشيخ الصالح تاج الدين حسن بن الدربي».

(٢) كذا، والأنسب: «فكشف».

(٣) الظاهر أنّ هناك كلمة ساقطة، وإلّا فالصواب: «وغرائبها».

[بَعضُ نَصائِحِ المُحَقِّقِ الحلّي]

فمِمّا سَمِعتُهُ يَقُولُ ـ وَقَد جَرَى ذِكرُ بَعضِ الفُقَهاءِ بالحلّةِ، وكانَ مِمَّن قَلَّ نَصِيبُه مِن الفَهمِ وكَثُرَ حَظُّهُ مِن الدَّعوى.

يا بُنَيَّ، خَفِّض عَن نَفسِك، واجتَهِد في إثارَةِ دَواعِي التَّقَرُّبِ مِن الناسِ، والتَزِم بأسبابِ المَودَّةِ، وأَغلِق أبوابَ الغِيبَةِ المُثِيرةِ للعَداوَةِ المُبيرةِ لِحِسِّ الصُّحبَةِ، ودَع اللَّجاجَ فإنّه مَحرَصَةٌ، وأنت جَعَلتَ في طِباعِكَ مِن المُخالَفةِ لِغَيرِكَ في النَّوعِ عَدوًّا[1] في الحَقِيقَةِ، فكما أنّ المَحبّةَ تَصدُرُ عَنِ الاتّفاقِ في الأوقاتِ لا سيّما ما كانَ أخصَّ[2] بها، فكذلك العَداوَةُ والبَغضاءُ منشؤهما مِنَ الاختلافِ فيها. وَقَد قِيلَ: «الطائِرةُ العَرجا مَعَ العَرجِ تَقَعُ».

واعلَم أنّ استجلابَ المَوَدَّةِ عَسِيرٌ لأجلِ هذه المُخالفةِ، وأكثرُ الثَّوابِ عَلَى الأعمالِ الحَسَنَةِ ما كانَ عَلَى أشقِّها.

واعلَم أنّ الإنسانَ إذا حَصَلَ لَهُ ما لم تَكُن تَبلُغُه هِمَّتُه مِن أسبابِ الرِّفعةِ كان جَحدُ فَضِيلَتِه فيه، كانتزاعِ رُوحِه مِن بَدنِه.

قال: فإذا أَحسنتَ الحالَ مَعَ أبناءِ جِنسِكَ الذين لا قِوامَ لَكَ بِدُونِ مُخالَطَتِهم، فانشُر ثَوبَ الفَضائلِ مُتَحَقِّقًا أنَّ كُلَّ مَركَبٍ لا يَعدِمُ حَسنةً، ولتَكُن عِنايتُك بردِّ الغُيُوبِ أكثرَ مِنها بِنَشْرِ العُيُوبِ، فَلِكُلِّ حَسَنَةٌ، ولا تُعدِم أَحدًا فضيلةً ولو قَلَّت.

فانظُر أَيَّدَكَ اللّهُ إلى مَا اشتَمَلَ عليه كلامُ هذا الفاضِلِ مِن التَّنبيهِ على مَكارِمِ الأخلاقِ، والتَّعريفِ للقَوَاعِدِ التي حَطَّ الجَنابُ العَزيزُ رِكابَه عِندَها، حتّى كأنّه لم يَرِد إلَّا لأَجلِهَا.

---

(١) في المخطوطة: «عدوٌّ».

(٢) كذا، وقد تقرأ «أحصين».

[فائدةٌ في أقسامِ العلومِ]

وذَكَرَ يَومًا فِي بَحثِه أنّ العلومَ بِأَسرِها ثلاثةُ أصنافٍ:

[١] ضَروريةٌ.

[٢] وعاديّةٌ.

[٣] ومُستَحسَنةٌ.

فأمّا العادّيةُ: فعلومُ الآدابِ، مِن النحوِ واللّغةِ والعَرُوضِ وما أشبَهَها، فإنّ الإنسانَ يَعتادُها بِحَسَبِ مُساكنةِ أهلِ تلك اللّغةِ، فلو ساكَنَ غيرَهم استَغنى عَنها.

والضَّروريّاتُ: كعُلومِ الفقهِ التي يَحتاجُ إليه[1] الإنسان في صَلاحِ مُعامَلاتِه وما يَجري بينه وبين غيرِه. [و] كعُلومٍ أخرى يَحتاجُ الإنسانُ إليها فِي صَلاحِ ذِهنِه، مِن حيثُ يَجِبُ أن يكونَ عاقلًا صادقًا، كعُلومِ المَنطِقِ وما أشبَهَها.

والمُستَحسَناتُ: كعُلومِ الهَندَسَةِ والمُوسيقى وما أشبَهَها.

[أقسامُ الكُفرِ والطَّوائفِ التي يُحكَمُ بكُفرِهم]

وقلتُ عندَه يَومًا: إنّ أصحابَنا يُكفّرونَ كلَّ مَن لا يَقُولُ بقَولِهم، ولا يَتَّبِعُ رِضاهم، فما عِندَك أيّها الشَّيخُ في ذلك؟

فقال: يا بُنيّ، الكُفرُ كُفران:

كُفرٌ عامٌّ، وهو جَحدُ ما أَجمَعَ الناسُ على أنّ النبيَّ ـ صلى الله عليه وآله ـ أَمَرَ به.

وكفرٌ خاصٌّ، وهو جَحدُ ما نَقَلَهُ[2] عَنهُ فِرقَةٌ مَخصُوصَةٌ.

(١) كذا، والأنسب: «إليها».

(٢) كذا، والأنسب: «نقلته».

وأمّـا أنا فلا أكفِّرُ من المُسـلِمينَ سِـوى ثلاثـةٍ: الغُـلاةُ،[1] والخوارجُ[2]، والمجسّـمةُ[3]؛ لأنَّ صَريحَ مَذاهبِهم مُجمَعٌ على أنَّـ[ـهُ] ـ صلّى الله عليه [وآلِه] ـ لم يَأمُر بها، بَل نَهَى عَنها، وشَدَّدَ النَّهيَ عنها.

[فائدةٌ في الطِّبِّ والنُّجُومِ]

وقـال يَومًا: اعلَمُـوا أنّ عِلمَ الطِّبِّ وعِلـمَ النُّجُومِ عِلمانِ مُحَقَّقانِ بالنِّسـبةِ إلـى ذَواتِهما، وإنّما لَحقَهما الخَطأ بالنسـبةِ إلى قُصُورِ الأنفُـسِ عَن تَحريرِ الحالِ فيهما، وذلك أنّ الطِّبَّ مَبنيٌّ على مَعرفةِ حَقيقةِ الكيفيّاتِ، لا حَدسًـا وتَخمِينًا، ولا مُقايسةً ونِسبَةً بالحَقيقةِ، كما يُوزَنُ الشيءُ وزنًا، وذَلك[4] فليس في قُوَّةِ النُّفُوسِ البَشَريَّةِ الوُقُوفُ على حقيقةِ الحالِ فيهِ إلَّا ما كانَ على سَبيلِ المُناسَبَةِ.

---

(١) الغلـوّ، هـو الارتفـاع ومجـاوزة الحدّ للـشيء، سـواء أكان في المعتقـدات الدينية أو غيرها. واسـتعمل اصطلاحًا بمعنى مجاوزة الحدّ المفترض للمخلوق والارتفاع به إلى مقام الأُلوهية. قال الشهرسـتاني في كتابه الملل والنحل ١/ ١٧٣: (الغالية هؤلاء هم الذين غلوا في حقّ أئمّتهم حتّى أخرجوهم من حدود الخليقة، وحكموا فيهم بأحكام الإلهية، فربّما شبّهوا واحدًا من الأئمّة بالإله وربّما شبّهوا الإله بالخلق).

(٢) إنّ للخـوارج تعريفـين عـامّ وخاصّ وهمـا: التعريف العام، وهـو التعريف الذي ذكره الشهرسـتاني في كتابـه الملـل والنحل ١/ ١١٤: «كلّ من خـرج [على] الإمام الحقّ الذي اتّفقت الجماعة عليه يسـمّى خارجيًّا، سواء كان الخروج في أيّام الصحابة على الأئمّة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمّة في كلّ زمان» والتعريف الخاصّ، هو التعريف الذي ذكرهُ الأشـعريُّ في مقالات الإسـلاميّين ١/ ١٦٧: «هم الطائفة التي خرجت على عليّ بن أبي طالب في صفِّين يوم التحكيم حيث كرهوا الحكم والتحكيم، وقالوا: لا حُكْم إلّا لله، وخرجوا عن إمرته وخلافته وقالوا: شككتَ في أمرك، وحكّمت عدوّك في نفسك. ثمّ كفَّروه وكفَّروا معاوية وكلَّ مَن رَضِي بالتحكيم».

(٣) المشـبّهة أو المجسّـمة هو مصطلح إسـلامي يطلق على مَنْ يقول إنَّ الله تعالى جسـم أو يشـبّه الله تعالى بالمخلوقات.

(٤) كذا، والأنسب: «ولذلك».

أَلَا تَرَى أنّهم يَقُولُونَ عن الشيءِ: هو حارٌّ بالنسبةِ إلى الإنسَانِ، بَارِدٌ بِالنِّسبَةِ إلى غَيرِه مِن الحَيَوانِ، وما لَم يَتَحقّق الحالُ في مِقدارِ الكيفيَّةِ التي خَرَجَ المِزاجُ فيها لَم يَضَع المُعالِجُ يَدَه على ما يُقابِلُها إلّا أن يكونَ اتّفاقًا.

وكذلك الحالُ في عِلمِ النُّجُومِ فإنّه مَبنيٌّ على إدراكِ أوقاتِ التَّغَيُّرِ العارِضِ للمُؤثِّراتِ الجُزئيّةِ، وذلك مُمتَنِعٌ على النُّفُوسِ البَشَريةِ من حيثُ يَتَعَذَّرُ في مِقدارِ كلِّ طَرفَةِ عَينٍ أن تُحِيطَ بكلِّ الجَرِي في الفلكِ من التغيّراتِ، وإذا لم يُدرَك ذلك لَحِقَه الخطأ في حُكمِه.

وهذا كَلامُ مَن وَقَفَ على الحقائقِ، واستَخرَجَ الدقائقَ بذِهنٍ ناطَهُ اللّهُ بنُورِ الحِكمَةِ، وحَباهُ بخَفايا الألطافِ والتَّوفِيقِ.

[مَصالِحُ التَّشرِيعِ الإلهي]

وسَمعتُهُ يَومًا يَقولُ: الشَّرعُ إنَّمَا فُرِضَ لِمَصالِحَ خَمسٍ:

أحدُها: يَتَعَلَّقُ بالنَّفسِ.

والثاني: بالمالِ.

والثَّالثُ: بالنَّسلِ.

والرَابعُ: بالأَبدَانِ.

والخَامِسُ: بِالعَقلِ.

وكلُّ واحدٍ مِنهـا فإمّا أن تَحتاجَ مَصلَحتُهُ إلى حِفظِ هَيئتِهِ وكَمالِه، وإمّا إلى دَفعِ الضِّدِّ الذي بدَفعِهِ يَتِمُّ كَمالُه.

فالنفسُ الإنسانيّةُ يَتَعَلَّقُ بحفظِها ودَفعِ أضدادِها حالُ القِصاصِ والجِناياتِ مِن العُلومِ الشَّرعيةِ.

والمالُ يَتَعَلَّقُ بإبقائِه ودفعِ ضدِّه معرفةُ البُيُوعِ والمُعاملاتِ، فَهي تَنفِي الضِّدَّ عنه وتَحفَظُهُ وتَحرسُهُ مِن ظالِمٍ يَأخُذُهُ على غَيرِ وَجهِه.

والنَّسـلُ يَتَعَلَّقُ مِن الشَّرعِ بالنِّكاحِ والطَّلاقِ وما يَجرِي مَعَهُ؛ ليَستَبقِي النوعَ على الحالَةِ الفاضِلَةِ ويُزيلَ ما أَدّى إلى إفسادِه.

والأبدانُ يَتَعَلَّقُ بها مِن الشَّرعِ العباداتُ، فِيها تَكمُلُ طهارتُها وانسيابُها مَعَ العَقلِ مُنخَرِطَةً في سِلكِه.

والعُقُولُ يَتَعَلَّقُ بها مِنَ الشَّرعِ إقامةُ الحُدُودِ في المُزِيلاتِ لها، مِن المُسكِراتِ وما أشبَهَها.

هذا خُلاصةُ ما سَمعتُه منهُ.

تَمَّتِ المُقدِّمةُ، والحمدُ للّهِ وَحدَهُ، وصَلَّى اللّهُ على سيّدِنا مُحمّدٍ النبيِّ، وآلِه الطاهِرينَ.

المَصادِرُ وَالمَراجِعُ

١. القرآن الكريم.

٢. أعيان الشيعة، السيّد محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ)، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت.

٣. رجال ابن داود، تقي الدين الحسن بن عليّ بن داود الحلّي (ت ٧٠٧ هـ)، تحقيق: السيّد محمّد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدرية في النجف الاشرف، ١٣٩٢هـ

٤. روضات الجنّات، السيّد محمد باقر الخوانساري (ت ١٣١٣ هـ)، تحقيق: أسد الله إسماعيليان، مكتبه إسماعيليان، قم المقدّسة، ١٣٩٢هـ

٥. كشف الرموز، عزّ الدين الحسن بن أبي طالب اليوسفي الفاضل الآبي (ت ٦٩٠ هـ)، تحقيق: عليّ پناه الإشتهاردي والحاج آغا حسين اليزدي، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفة، ١٤٠٨ هـ

٦. لؤلؤة البحرين، الشيخ يوسف البحراني (ت ١١٨٦هـ)، تحقيق: السيّد محمّد صادق بحر العلوم، دار الأضواء، ١٤٠٦ هـ

٧. مقالات الإسلاميين، أبو الحسن عليّ بن إسماعيل الأشعري (ت٣٣٠ هـ)، تحقيق: محمّد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ

٨. الملل والنحل، أبو الفتح محمّد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ)، منشورات الشريف الرضي، قم المقدّسة.

٩. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (٧٦٤ هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث ـ بيروت، ١٤٢٠ هـ